دفع الاوهام

بقلم

ابن سلام

القائل

لا ادّعي الفضلَ وهل يدّعي *مَنْ هو مثلي طالبٌ مستفيد
فالفضلُ بعدَ اللهِ سبحانهُ *لحضرةِ السلطان عبدالحميد
أَيّدهُ اللهُ تعالى بما *أَنزلَ مِنْ آيِ الكتابِ المجيد

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٣١٧ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

اما بعد فيقول الفقير اليه تعالى عبد الرحمن سلام البيروتي انني قد اطلعت في العدد التاسع من مجلة الضياء على فصل تحت عنوان (لغة الجرائد) من قلم الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب المجلة المذكورة وبعد أن وقفت على مضمونه رايت انه لا بدّ لي من الوقوف على جميع ما تضمنته تتمة هذا الفصل فقد ظهر لي بادىء بدىء انه لا مندوحة لكل من ينتسب الى الادب اصيلا كان في اهله او دخيلاً مثلي من الاطلاع على مثل هذا البحث مما يهمّ الكاتب علمه والشاعر فهمه فاخذت أتتبع بقية الاجزاء عدداً عدداً الى ان اتضح لي أن المقصود مما حرره انما هو خلاف ما يتبادر لذهن من

نظر في مقدمته فان محصّل مفهوم عبارة الشيخ الموما اليه في المقدمة نفسها النصح لكتّاب الجرائد والتنبيه على بعض اغلاط صدرت عنهم في بعض الفاظ استعملوها في غير محلها مما لا يليق باللغة والكتّاب بيدَ أنه ماعتم أن سمّ القلم ودسّ السم في الدسم وشرع يتهور في تخطئة فريق من مشاهير الكتاب والعلماء والادباء السالفين تهوّرًا لا يكاد يصدر عن مطلق انسان خلقه الله وعلمه البيان ولمّا كان الصبر على احتمال مثل هذا التحامل امرًا أمرّ من الصبر قلت في نفسي لا بد من الرد على ذلك والدفاع عن ما هنالك وبما اني لست من رجال هذا المجال تركت ذلك لاهله من أعلام العلماء وافاضل الادباء وما زلت اتوقع منهم ما يشفي غلتي ويروي غلتي الى أن علمت يقينًا ان اولئك الجهابذة هم اعظم من أن يحرك احدهم قلمه او يكتب كلمة او يفتح فمه في ردما هو عبارة عن محض اوهام بينها وبين

الصواب بعد المشرقين وبما أنهم وكلوا هذا الامر الى من هو بالنسبة اليهم كعرفة من يم او رشفة من ديم دار في خلدي انهم لم يعنوا سواي ولم يريدوا الاَّ اياي وبعد الاتكال على ملهم الصواب شرعت في المقصود مستمداً من مفيض الجود على الوجود ان يبعدنا عن الزلل ويحفظنا من الخلل انه على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير وبعد التمام سميت ذلك دفع الاوهام راجياً ممن نظر فيه ان لا يلحظه بعين السخَط وان يصلح ما فيه من وكس او شطط فان الانسان محل النسيان واول ناس اول النأس شعر

فان تجد عيباً فسد الخللا * فجل من لا عيب فيه وعلا

﴿ ١ ﴾ وهمّ المعترض الحريريَّ في استعماله اليَنع للحديقة حيث يقول في مقاماته (وكان يوماً حامي الوديقة يانع الحديقة) وخطأ الشريشيَّ في تفسيره يانع الحديقة بناعم الروضة

(قلت) من عرف ما في معنى الحديقة من الخلاف عند ائمة اللغة عرف صحة كلام الحريري ففي القاموس والحديقة الروضة ذات الشجر جمعها حدائق او البستان من النخل والشجر . قال في التاج وخص بعضهم من النخل والشجر الملتف وهو قول ابن دريد والزجاج وخص بعضهم الشجر بالمثمر اه وهذا القول الاخير يصحح استعمال الينع للحديقة ومن لاحظ النكتة في قوله وكان يوماً حامي الوديقة عرف ان المراد بالحديقة ثمرها بخلاف ما لو قال ذا وديقة لان الوديقة هي شدة الحر فلما قصد المبالغة في شدة حر ذلك اليوم قال حامي الوديقة فافاد ذلك انه يوم بلغت فيه شدة الحر درجة التناهي وانما يدرك ورق الاشجار وينع اي ينضج ثمرها في مثل ذلك اليوم . ثم ماذا نقول في قول الحجاج اني لارى رؤسا اينعت وحان قطافها اليس ذلك تشبيهاً للرؤس في استحقاق القتل بثمار ادركت وحان قطافها

ومع ذلك كله فما المانع من أَن يراد باحديقة ثمرها اي يانع ثمر الحديقة على حذف مضاف فقد جاءَ في التنزيل واسئل القرية اي اهل القرية او أَن يراد يانع ثمر شجر الحديقة على حدّ قوله تعالى من أَثر الرسول اي من اثر حافر فرس الرسول

واما تفسير الشريشيّ يانع الحديقة بناعم الروضة فهو صحيح ايضاً بطريق اللزوم نعم واي روضة لا تكون ناعمة في يوم بلغ الحرفيه الحدّ ولا ريب انه يلزم من مثل ذلك اليوم ادراك ورق الشجر ومنه ينع الثمر ومنه النعومة بالنظر لمن أَدرك الوقت الذي بلغ الحرفيه درجة غائية

﴿ ٣ ﴾ وأَخذ على الشريشيّ ايضاً بقوله في خطبة شرح المقامات (ولم يزل في كل عصر من حملته بدر طالع وزهر غصن يانع

وخطّأَ القاضي شهاب الدين بن فضل الله في قوله

(حتى تدفق نهره واينع زهره) والصفديّ في قوله
يامن حواه اللحد غصناً يانعاً * وكذا كسوف البدر وهو تمام
(قلت) كل ذلك من قبيل اعتراضه على الحريري
فيما سبق ذكره وثبتت صحته ومع ذلك فنقول لا مانع
من تفسير اليانع في قول الشريشي بالمدرك سواء اعتبر
نعتا لزهر او لغصن فالعبارة على كل جارية على التشبيه
بجامع الادراك في كل من الطرفين لان الزهر لا يقال له
زهر حتى يتفتح وهو قبل تفتحه بُرعوم واما الغصن فهو
وان كان بمعنى ما تشعب من ساق الشجر فانه يختلف
بحسب الادراك والبلوغ فرب غصن هو في قوة ساق
بالنظر لما يتشعب منه فهو فرع باعتبار اصل باعتبار آخر
ومما يدلك على انه لم يرد مطلق زهر ولا مطلق
غصن قوله بدر طالع فان البدر هو القمر الممتلىء وسمي
بدراً لتمامه قال في المصباح والبدر القمر ليلة كماله وهو
مصدر في الاصل يقال بدر القمر بدراً من باب قتل ثم سمي

الرجل به

وهكذا قوله بعد هذه السجعة وعلم ترنو اليه أبصار وتومئ اليه اصابع فان قوله علم مما يؤيد ذلك ايضا فكانه قال ولم يزل من حملة علم الادب من هو كالبدر في تمامه والزهر المتفتح في اكمامه والغصن في ادراكه ما يجعله كالاصل بما يتفرع عنه وكالعلم في سائر معانيه قوة وثباتا وعظما ورفعة وما اشبه ذلك

هذا وقد جاء فيما استدركه شارح القاموس مانصه وقد يكنى بالاينا ع عن ادراك المشوي والمطبوخ ومنه قول ابي السمال للنجاشي هل لك في رؤس جذعان في كرش قد اينعت وتهرأت حكاه ابن الاعرابي اه . وقد مرّ ايضا فيما سبق في الجواب عن الاعتراض الاول ما قاله الحجاج فهل بعد ذلك وبعد قولهم اينعت الكرش اقل مانع من أن يقال زهر يانع او غصن يانع

واذا تقرر ذلك فقد صح قول القاضي شهاب

الدين (وابنع زهره) وقول الصفدي (يـلـ من حواه اللحد غصنا يانعا)

﴿٣﴾ واخذ على الحرث بن حلّزة في قوله

أجمعوا امرهم بليل فلمـا * اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

قال المعترض فانث الضوضاء على توهم انه من باب شحناء وبغضاء والذي يلزم عن هذا ان يكون اشتقاقه من ضاض يضوض وهي مادة لم ينطقوا بهـا والصحيح ان الضوضاء وزنه فعلال على حد بلبال وزلزال واشتقاقه من الضوة الى آخر ما قال مما لاحاجة لنا فيه

(قلت) لا يخفى ان ابن حلزة من الجاهليين فنسبة الوهم في مثل ذلك الى الجاهلي امر غير مسلم وهذا اللفظ وان كان اشتقاقه من الضوة وهي الجلبة فيجوز تأنيثه باعتبار معناه على ان صاحب القاموس لم يشتق هذا اللفظ من الضوة بل ذكره في ضاض وان ابى المعترض

فقد قال في فصل الضاد من باب الضاد الضوضى مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة في المهموزة اه. ووصف الشارح المهموزة بالممدودة ثم انظر تجد ان الحال لم تأت من هذا اللفظ مذكرة في قول صاحب القاموس الضوضى مقصورة ولا المجرور في قوله المهموزة ولا الصفة كذلك في قول الشارح الممدودة فهل بعد هذا كله وبعد كون اللفظ المذكور بمعنى الجلبة واصوات الناس يقبل توهيم من انث الضوضاء فضلا عن كونه ابن اللغة والظاهر ان المعترض مع كثرة اطلاعه قد فاته قول الشاعر العربي

يا ايها الراكب المزجي مطيته * سائل بني اسد ما هذه الصوت

فقد انث الصوت حملا له على المعنى اي ما هذه الجلبة وهذا الباب واسع كثير الامثلة والشواهد على انه لو اطّلع على هذا البيت لخطأ قائله كما هي عادته

﴿ ٤ ﴾ واعترض على صاحب المصباح بسبب

انه فهم من عبارة له في (ذهل) ما لا يتصور فهمه من مثله واليك عبارة صاحب المصباح قال في (ذهل) ذهلت عن الشي اذهل بفتحتين ذهولاً غفلت وقد يتعدى بنفسه فيقال ذهلته والأكثر ان يتعدى بالالف فيقال اذهلني فلان عن الشيء اه عبارة المصباح قال المعترض وهذا القول عجيب من مثله لان مقتضاه ان التعديتين بمعنى واحد وانك تقول ذهلني فلان عن الشيء كما تقول اذهلني وهو سهو منه لان تعدية الفعل بنفسه انما تكون الى الشيء المذهول عنه تقول ذهلت الشيء وذهلت عنه وتعديته بالالف تكون الى الشخص الذاهل كما مثّل فقوله الاكثر ان يتعدى بالالف ليس بشيء اذ لا تنظير هنا لان كلاً من التعديتين من واد كما يظهر بأدنى تأمل

(قلت) قد ادعى المعترض ان في عبارة صاحب المصباح تنظيراً بين التعديتين على ان عبارة المصباح

لم تفهم مثل هذا الادعاء نعم لو اطلق العبارة ولم يأت لكل من التعديتين بمثال لكان يتبادر للذهن التنظير وليس الأمر كذلك فقد تعين كل من مفعولي ذهل واذهل بما مثل ولولا التمثيل لما فهم المعترض ولا من هو فوقه في المعقول الا التنظير بحيث يصح ان يقال ذهلته واذهلته ومن اين له لولا النص ومفهومه ان يقول ان كلا من التعديتين من واد فالسهو حاصل من المعترض لسوء الفهم فيما هو بديهي لايحتاج الى ادنى تأمل لامن صاحب المصباح المنير

﴿ ٥ ﴾ قال المعترض ويقولون (يعني كتاب الجرائد) انفرط العقد اي انتثر وتبدد وهو من اوضاع العامة صيغة ومعنى ومن الغريب ان هذا اللفظ ورد في كلام ابن حجة الحموي في خزانة الادب وهو قوله في الكلام على نوع الانسجام (وقد الجأتني ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين لئلا ينفرط لعقودها نظام)ومثله

بعد صفحات (وقدمت عصر المتأخر لئلا ينفرط سلكه) فجعل هنا الانفراط للسلك وهو اغرب لان المتعارف في معنى هذه اللفظة عند العامة الانتثار وقد فرط الشيء فانفرط يقولون فرطت حب الرمانة وانفرط عنقود العنب ونحو ذلك ولا يقولون انفرط الخيط او الحبل

(قلت) من المعلوم ان ما حرر من اللغة انما هو اقلها وانه قد يوجد لفظ لم يكن معروفاً عندنا بالنظر لعدم وروده فيما بين ايدينا من كتب اللغة وكم من كتاب مطول قد خلا عن بعض كلمات ذكرت فيما دونه من الكتب المختصرة ومن المسلم ان ابن حجة الحموي ومن عاصره او تقدمه من اكابر العلماء وافاضل الادباء قد اطلعوا على ما لم نطلع نحن عليه في عصرنا هذا من بعض كتب اللغة وغيرها وهذا صاحب تاج العروس قد ذكر في خطبة شرح القاموس مما وقف عليه

واستمد منه من الكتب عدداً ليس لنا علم الا ببعضه ولم نقف إلاَّ على أسماء البعض الآخر دون المسمى واذا تقرر ذلك لزمنا معشر ابناء هذا العصر مراعاة الادب التام مع السلف الصالح وخاصة المتقدمين بأن نتلقى ما ورد عنهم بايدي القبول ونعتقد بفضلهم لوفرة اطلاعهم وطول باعهم فيما هم احق به منا تحقيقاً وتدقيقاً فضلاً عن كونهم اقرب عهداً منا باللغة وارباباً الذين كانوا يتلقونها بطريق الرواية في الغالب وعلى سبيل الدراية في الاغلب فقوله ومن الغريب ان هذا اللفظ (يعني انفرط) قد ورد في كلام ابن حجة الحموي بعد قوله وهو من اوضاع العامة مما لا يليق بمثله ولو طالبناه بالبرهان عن كون اللفظ المذكور من اوضاع العامة لم يكن برهانه الا قوله ان هذه الكلمة لم ترد في كتب اللغة يعني بذلك الكتب المتداولة بين ايدينا كاللسان والتاج وما دونهما مما تداولته ايدي ابناء هذا العصر وحينئذٍ فلنا ان نقول ان

هذه الكتب لم تتكفل لنا ايراد الفاظ اللغة كلها وان هناك كتبا غير هذه لم يبلغ بعضُها بعضَنا ولا كلُّها كلَّنا فاندفع أَن يكون انفرط عاميّا الا ظنًّا واحتمالاً واليقين لا يزول بالشك فما بالك فيمن جعل الشك عين اليقين ثم ان هذا اللفظ قد جاءَ في قطر المحيط للبستاني قال فيه وانفرط الشيء انحلّ . فلم يبق للمعترض الا التسليم او ان يتمسك باقوال (احدها) ان يقول ان البستاني قد نقل هذا اللفظ عن بعض كتب اللغة مما لم يصل الينا او لم نطلع عليه ولن يقول ذلك لئلا يكون قوله هذا حجة عليه (ثانيها) أَن يقول ان البستاني قد وجد هذا اللفظ مستعملاً في كلام القوم السالفين كابن حجة وامثاله فوضعه في كتابه وفسره بما يقتضيه ظاهر المقام ويستلزمه سياق الكلام وهذا مما يثبت للبستاني كبير فضل وغزير عقل نظراً لوثوقه بكلام المتقدمين شأن كل عاقل (ثالثها) أَن يقول اننا لا نثق

بالبستاني في مثل هذا الفن وحينئذٍ فلا يسعنا الا ان نقول له اننا لانثق باليازجي ايضاً في مثل ذلك ولو ادعى الاجتهاد فيه فكلٌّ يدعي ... وكل من يدعي الخ

وكيف نثق به وهو القائل ان ورود لفظ انفرط في قول ابن حجة (لئلا ينفرط لعقودها نظام) غريب وان قوله (لئلا ينفرط سلكه) اغرب بداعي انه جعل الانفراط في العبارة الاولى للنظام وفي الثانية للسلك فقد فرّق المعترض بين النظام والسلك في العبارتين ولم ادر ما حمله على ذلك سوى اجتهاده على انه جاء في المصباح نظمت الخرز نظماً من باب ضرب جعلته في سلك وهو النظام بالكسر فراجعه

٦ وغلّط الالبيريّ في قوله

ومهما اكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب

يريد انه لم يَرِدْ اكرب بمعنى كرب

(قلت) لامانع من استعمال اكربه الامر مكان كربه

ففي التاج يقال أكربت السقاء اكرابًا اذا ملأته . وفي مجاز الأساس ملأت السقاء حتى اكربته وكظظته . وفي التاج على القاموس (وكظّه الامر) يكظه كظًّا و(كظاظا وكظاظة) بفتحهما (بهظه) وملأه هما (وكربه وجهده) واثقله وهو مجاز اه وهنا لنا ان نقول اذا جاز ان يأتي اكرب بمعنى كظّ وكظّ بمعنى كرب جاز ان يأتيَ اكرب بمعنى كرب وعليه فقول الالبيريّ صحيح لاغبار عليه

﴿٧﴾ وغلّط صفوان بن ادريس باستعماله أعدّ مكان عدّ في قوله

وقد اسكرت اعطاف اغصانها الصبا

وما كنت اعددت الصبا قبلها خمرا

(قلت) قوله اعددت بمعنى عددت له وجه يصححه فقد قال في اللسان حكى اللحياني عن العرب عددت الدراهم افرادا ووحادا واعددت الدراهم افرادا ووحادا ثم قال لا

ادري امن العدد ام من العدة فشكّه في ذلك يدلّ على انّ أعددت لغة في عددت ولا اعرفها اه فقوله ولا اعرفها لاينافي ورودها وورودها مع شكّ اللحياني في معناها يحتمل الوجهين وحملها على معنى عددت أقرب الامرين فقول صفوان اعددت لا بأس به

﴿ ٨ ﴾ وخطّأ مصطفى الحلبيّ في قوله أهاجت مكان هاجت حيث يقول

ولا تغنت على غصن مطوقة * الا أهاجت لي الاشجان والارقا

(قلت) لعل اصل البيت

ولا تغنت على غصن مطوقة * الا وهاجت لي الاشجان والارقا

فطرأ عليه التحريف في النسخ ولا يبعد ذلك لاستقامة الوزن وسلامة المعنى ومع ذلك فلو كانت الرواية أهاجت فهي صحيحة ففي القاموس أهاجه أيبسه · وزاد في التاج يقال أهاجت الريح النبت اذا أيبسته · وعليه فلنا ان نجعل الأرق في هذا البيت عبارة عن الشجن بلازم المعنى

فان الأَرق الذي هو بمعنى السهر في مكروه على ما نقل
عن بعض فقهاء اللغة يلزم منه الشجن الذي هو بمعنى الهم
والحزن وبهذا الاعتبار يترادف اللفظان فنشبّه مطلق
الشجن بمطلق النبت لان من جملة معاني الشجن الغصن
المشتبك من غصون الشجرة أَو اننا نشبّه الشجن الذي
هو بمعنى الهمّ والحزن بالشجن الذي هو بمعنى الغصن
المشتبك بجامع الاشتباك في كل منهما لان الهمّ والحزن
يشتبكان بصاحبهما اشتباك الاغصان بعضها ببعض ثم
نشبّه المطوّقة بالريح من حيث أَنَّ المطوقة تغنى
فتهيج العاشق تهييجاً يثير اشجانه فيؤَدي به الى ضرره
والريح تهبّ فتحرك النبت تحريكاً يفضي الى إتلافه أَلا
ترى أَنهم يقولون حمامة هتوف وريح هتوف يريدون
بالأُولى كثيرة الهتاف وهو الصوت الشديد أَو الصوت
بقوة وبالثانية الحنانة ولا يتأتى ذلك الاَّ عند شدة الريح.
ولا تقييد في المطوقة فهي وكل طائر يترنم يستلزم إثارة

الاشجان قال الشاعر العربي

أن هتفت ورقاء ظلت سفاهةً * تبكي على جمل لورقا، تهتف

ولذلك عبّر بعضهم عن الهتف بالبكاء وهو مما يثير الاحزان ويؤثر بصاحب الاشجان قال

رب ورقاء هتوف في الضحى * ذات شجو هتفت في فنن

ذكرت إلفا وخدنا صالحا * فبكت حزنا وهاجت شجني

فبكائي ربّما أرّقها * وبكاها ربّما أرّقني

ولقد تشكو فما أفهمها * ولقد أشكو فما تفهمني

غير اني بالجوى أعرفها * وهي ايضا بالجوى تعرفني

ولا تقييد في الريح ايضاً فان شديدها العاصف وحارها القاصف يضرّ بالنبت فالضرر في كل من المشبَّه والمشبَّه به لازم واللزوم يصحّح التشبيه كل ذلك بعد ان نريد بالاشجان صاحبها مجازا مرسلا وحينئذ فلنا ان نقول أهاجت المطوقة اشجان العاشق اي صاحبها بمعنى اضرت به ضررا فاحشا يؤدي الى هلاكه او يكاد كما

نقول اهاجت الريح النبت بمعنى ايبسته ويستفاد مما تقرر ان استعمال الشاعر اهاج أولى من استعمال هاج لما يترتب على ذلك من المبالغة في المعنى

﴿ ٩ ﴾ وخطّأ سليمان بن عبد الملك بقوله (انا الملك الشاب السيّد المهاب) على ما رواه المسعودي في مروج الذهب

(قلت) انما نسب المعترض الخطاء الى القائل من حيث انه توهّم ضمّ الميم في المهاب كما يفهم من كلامه في محلّ هذا الاعتراض وحقيقة الامر ان اللفظة انما هي بفتح الميم لا بضمها ففي القاموس مكان مهاب ومهوب يهاب فيه اه . قال أُميّة بن ابي عائذ الهذلي

أجاز الينا على بعده * مهاوي خرق مَهاب مَهال

وقد فسّر ابن بري الاول بموضع الهيبة والثاني بموضع الهول وفي الصحاح رجل مهوب ومكان مهوب قال صاحب تاج العروس وكأنه يعني مهابا ومهوبا اه فايُّ مانع يمنع من

ان يكون القائل محلاً للهيبة الاّ ان يأتينا المعترض بالعبارة نفسها منقولة عن كتاب مضبوط بالشكل يوثق بمن ضبطه خطأً كان او طبعا وعندئذٍ فان وجدنا الهاب مضبوطا بضم الميم سلمنا ذلك والا فالحكم بالظنيات ليس من المسلّمات

﴿ ٥ ١ ﴾ قال بعد ان اعترض على كتّاب الجرائد في قولهم جماعة القسس بمعنى القسوس ولم يمرّ بنا مثل هذا الاقول عبد الرحمن الشيرازي

لو أَن ما ذاب منه يجمد لم * يصلح لغير العقود والشُّنف

يعني الشنوف فحذف الواو لضرورة الشعر وان كان المتأخر لا تعذره ضرورة

(قلت) البحث في الضرورة الشعرية ليست من خصائص هذا المعترض والحكم بكون المتأخر لا تعذره ضرورة لا اصل له ولو راجع كلام العلماء في الضرورة الشعرية لرجع عن قوله لان حد الضرورة ما لا يجوز في

النثر على الصحيح لا مالا مندوحة عنه للشاعر والاَّ لما وجدت ضرورة في كلام العرب اذ لا يكاد الشاعر يروم خلاصا من محظور الا وجد الى ذلك سبيلا . ولم ادرِ ما الذي قصده من ذكر الضرورة منكرة مع كونها انواعا فهل ياترى نحكم على من قصر الممدود مثلاً بكمن مدَّ المقصور فكان الأولى ان يقول وان كان المتأخر لا تعذره مثل هذه الضرورة مثلا على انه قد ورد مثلها لابي تمّام الطائي حيث يقول

حتى لو أنّ الليالي صورت لغدت * افعاله الغر في آذانها شنفا

افنخطئ ابا تمام وهو بطل الشعر ومجلّي حلبته ام يجب ان نقول ان مثل هذا الجمع لم يبلغنا ولو فرضنا ان هذا الجمع لا اصل له فما الذي يمنعنا ان نقول ان الشنف في قول كل من الشيرازي والطائي مفرد لا جمع وانما حركت نونه للضرورة الوارد مثلها عن العرب فقد قال اوس بن حجر

أبني لبينى لست معتقدا * ليكون الأم منكم أحدُ
أبني لبينى ان امكم *أمةٌ وان اباكم عبدُ

فقد ضم الباء ضرورة وانما اراد عبْد فان قيل كان يلزم ان يقال بعد العقود الشنوف في بيت الشيرازي وكذا بعد الآذان في بيت الطائي وهذا ينافي كون الشنف مفردًا قلنا لا مانع من ارادة الجنس بالمفرد المعرَّف فهو قائم مقام الجمع فاندفع الاعتراض

﴿ ١١ ﴾ ورد ما وردَ في تاريخ ابي الفداء وذلك قوله في حوادث سنة ٦٥٨ وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وكذلك ما جاء في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة في الكلام عن الاسكندر أصبح مستأسر الأسرى أسيرا اه قال وانما يقال استاسر الرجل بمعنى استسلم للاسر فالفعل لازم لا متعد

(قلت) ان استعمال استأسر متعديا لا شبهة فيه وقد صرح بذلك المطرِّزي صاحب كتاب المغرب واورد

عليه حديث عبد الرحمن وصفوان وهو (انهما استاسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن) فهل بعد ما أورده المطرزي مجال للاعتراض

﴿ ١٢ ﴾ ووهّم بعض اكابر الكتاب كصاحب نفح الطيب في قوله (ولا يخفاك حسن هذه العبارة) وقوله (ولا يخفاك انه التزم في هذه القطعة مالا يلزم) وسراج الدين المدني في قوله

ما الحال قالوا صف لنا * فلعلّ ما بك أن يزاح
فاجبت ما يخفاكمُ * حال السراج مع الرياح

وعدّ ذلك من مثلهما غريبا بناء على ان هذا الفعل يعدّى بعلى

(قلت) لا يخفى أنّ حرف الجر المعدّى به الفعل القاصر قد يحذف فيبقى مدخوله منصوبا بنزع الخافض قال الامام ابن مالك في ألفيته

وعدِّ لازما بحرف جر * وان حذف فالنصب للمنجر

نقلا وفي أَنَّ وأنْ يطرد * مع امن لبس كعجبت ان يدُوا

قال ابن عقيل ما ملخصه الفعل اللازم يصل الى مفعوله بحرف جر وقد يحذف فيصل الى مفعوله بنفسه قال الشاعر

تمرّون الديارَ ولم تعوجوا * كلامكمُ عليَّ اذًا حرامُ

اي تمرّون بالديار ومذهب الجمهور انه لا ينقاس حذف حرف الجر مع غير أَنَّ وأنْ بل يقتصر فيه على السماع وذهب ابو الحسن علي بن سليمان البغدادي الى انه يجوز الحذف مع غيرهما قياسا بشرط تعيّن الحرف ومكان الحذف اه وليس ما ذكر في عبارة صاحب نفح الطيب وكلام سراج الدين مايوجب اللبس لتعين الحرف ومكان الحذف في كل ذلك فكلامهما حينئذ صحيح جائز على أَنَّ مثل ذلك لا يكاد يخلو من عبارة كاتب فلم يبق للمعترض الا تخطئة ابي الحسن علي بن سليمان وهو الاخفش الاصغر تلميذ ثعلب والمبرّد

﴿ ١٣ ﴾ قال ويقولون رجل مفسود السيرة وقد انفسد وكلاهما خطأ لان فسد لازم فلا يصاغ للمجهول ولا يبنى منه مطاوع وقد وقع مثل هذا للحريري في مقامته الحجرية حيث يقول (اما انك لو ظهرت على عيشي المنكدر لعذرت في دمعي المنهمر) قال الشارح المنكدر المتغيّر والكدورة ضد الصفاء . ثم اورد المعترض ما حكوا في هذه الكلمة نقلاً عن اللسان مما لا يصرح بانّ معنى المنكدر المتغير

(قلت) قوله وقد وقع مثل هذا للحريري ليس من الصواب في شيء إذ لا مماثلة بين المنفسد في عبارة الكتاب والمنكدر في عبارة الحريري لاننا لو فتشنا كتب اللغة لوجدنا انكدر ولم نجد انفسد فلا مماثلة حينئذ الاّ انْ يكون قد اراد المماثلة من حيث مطلق الخطأ في الاستعمال وعلى هذا فنقول لا خطأ في قول الحريري ولا في تفسير الشريشي ايضا ففي التاج على القاموس (و) من المجاز (انكدر) يعدو

(اسرع) بعض الاسراع وفي الصحاح اسرع (وانقضّ) ومنه قول العجاج في صفة البازي (ابصر خربان فضاء فانكدر) (و) من المجاز انكدر (عليه القوم انصبوا) ارسالا وفي البصائر اي قصدوا متتابعين عليه قال (و) منه قوله تعالى واذا (النجوم) انكدرت اي (تناثرت) اه هكذا ممزوجاً بالاصل · وعليه فان شئت فشبّهِ العيش الضيق المتكدر الذي يقتضي العناء بعد كونه واسعا صافيا يقتضي الهناء بمن اسرع اسراعاً يستلزم المشقة والنصب بعد كونه ساكنا او متحركا بحركة بطيئة تستلزم الراحة وتنافي التعب واستعملِ انكدر للعيش استعمالهُ للسائر دون العدو وفسر الانكدار بالتغير على سبيل اللزوم والتفسير باللازم صحيح وان شئت فشبه العيش الدنئ بالطائر المنقض بجامع السقوط في كل منهما وكل ما سقط لزم منه التغير ولو من وجه وحينئذ فالمنكدر بمعنى المتغير صحيح ايضا ولك ان تنزل العيش المتبدد شمله منزلة النجوم المتناثر جمعها والتغير

في ذلك لازم كذلك فقول كل من الحريريّ والشريشي صحيح واما قول الشارح والكدورة ضد الصفاء بعد تفسيره المنكدر بالمتغير فلعل فيه اشارة الى انه ربما خفي معنى المنكدر على القارىء لعدم تصريح كتب اللغة بان معناه المتغير الذي هو تفسير باللازم فغلب من اجل ذلك على ظنه أنّ في المنكدر تصحيفا في النسخ وأنّ اصله المتكدر بالتاء المثناة الفوقية ففسر الكدورة بضدّ الصفاء لاحتمال التصحيف وإمكان التحريف ولو لاحظ المعترض هذه النكتة لما توهّم ان المنكدر مطاوع كدر على ما يفهم من قوله وقد وقع مثل هذا للحريريّ

﴿ ١٦ ﴾ وخطأ نسان الدين ابن الخطيب في قوله قالوا لخدمته دعاك محمّدٌ * فأنفتها وزهدت في التنويه يريد المعترض ان أنف فعل قاصر يعدى بمن لا بنفسه

(قلت) استعمال مثل هذا الفعل متعديا بنفسه هو من باب الحذف والايصال وقد ثبت فيما سبق بيان جوازه

ومع ذلك فيجوز تضمين انف معنى كره الذي هو معناه الحقيقي كما في اللسان فقد قال فيه أنف من الشيء انفا اذا كرهه وشرفت عنه نفسه اه وعلى كلا الحالين فالتعبير فصيح والمعنى صحيح

﴿ ١٥ ﴾ ووهّم الشريشي بتفسير تعافيتها من قول الحريريّ

ولو تعافيتها لحالت * حالي ولم احوِ ما حويت

بمعنى تكارهتها وقال والأشبه أنّ الحريري اراد بقوله تعافيتها تجاوزتها وكأنه اخذ هذا اللفظ من عبارة الحديث (تعافوا الحدود فيما بينكم) اي تجاوزوا عنها ولا ترفعوها اليّ كما ذكر في النهاية وفي ذلك ما فيه (يعني أنّ في تفسير الحديث ما فيه)

(قلت) قال في مستدرك التاج والتعافي التجاوز وعجيب من مثل هذا المعترض ان يترك عبارة كتب اللغة و يأخذ بما في غيرها فكانه لم يطلع على هذه الكلمة وهو الذي صرف

غالبَ عمره في مطالعة اللغة على ما هو المسموع عنه والذي يستفاد من ظاهر الحال ان الذي حمله على ان يقول وكأنه (اي الحريري) اخذ هذا اللفظ من عبارة الحديث انما هو اظهاره لكل من وقف على كلامه هذا ان الحريري ايضا لم يطلع على هذا اللفظ في كتب اللغة فاخبر انه قد عرف من اين اخذ الحريري هذه الكلمة ظنا منه ان في ذلك دليلا على كثرة اطلاعه وطول باعه

او انه اراد التنكيت الذي يعود عليه بالتبكيت فأتى بالكلمة من الحديث الشريف ليصرح بان في تفسير ذلك الحديث ما فيه مما وصل اليه فهمه .

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً * وآفتهُ من الفهم السقيم

﴿ ١٦ ﴾ وبعد ان خطّأ كتّاب الجرائد في قولهم واروا الميت التراب قال وقد ورد مثل هذا للحريري في مقامته الكوفية وهو قوله (وخلّدوها بطون الاوراق) وكأن الذي سوّل له صحّة هذا التركيب ما جاء في

سورة يوسف من قوله اطرحوه ارضا وهذا فضلا عن كونه من التراكيب التي لا يقاس عليها فانما سهل له هذا الاستعمال فيه تنكير الارض وتجريدها من الوصف كما قال الزمخشري فنصبت نصب الظروف المبهمة وقيل انها مفعول ثان لاطرحوه على تأويله بمعنى أنزلوه وكلاهما على ما فيه لا يصح في عبارة الحريري

(قلت) ان قول الحريري وخلّدوها بطون الاوراق صحيح على تضمين خلد معنى ادخل او ما في معناه مما يتعدى الى المفعول الثاني دون واسطة حرف جر وقول المعترض وكأنّ الذي سوّل له صحة هذا التركيب ما جاء في سورة يوسف من قوله اطرحوه ارضا لم يفهم منه ان الضمير راجع اليه تعالى لاننا لو راعينا القاعدة النحوية لما رجع الضمير الا الى يوسف وليس الأمر كذلك لان الضمير انما هو راجع اليه تعالى فيما قاله حكايةً عن اخوة يوسف وقوله وهذا فضلا عن كونه من التراكيب التي لا يقاس عليها

لااصل له فان كلامه عزّ وجل افصح الكلام وابلغه واحسن مايقاس عليه فهو القاعدة الكبرى والشاهد الاعظم لكل من نثر أو نظم كتب او تكلّم وأما قوله وكلاهما على ما فيه لا يصح في عبارة الحريري يعني بذلك كلا التفسيرين فانه من المعترض دعوى عريضة على اني اعملت الفكر في فهم ما ظهر له في ذلك فلم يبد لي شيء وجيه ولا بدع فربما فهم الحدّاد من صناعة الجوهري مالا يتبادر للجوهري فهمه مطلقا الا ان الاوّل بالنسبة الى الثاني كالصيرفي بالنسبة الى الصرفي والفرق بينهما غير خفيّ

﴿ ١٧ ﴾ وعاب لسان الدين بن الخطيب في قوله عند ذكر الغارة على جيّان (ففللنا ثانية غربها وجددنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها) قال المعترض وانما يقال أخرب المكان او خرّبه بالتثقيل ولا يقال خربه بالمجرد

(قلت) قوله ولا يقال خربه بالمجرد لا أصل له ففي القاموس وخربه خرب خربته وثقبه أو شقّه وفلان صار

ايضًا والدارَ خرّبها كاخربها . وهذا نص صريح بانه يقال خرب المكان بالمجرد كما يقال خربه بالتثقيل وأخربه بالالف

﴿ ١٨ ﴾ وأخذ على ابي الفداء بقوله في مقدمة تاريخه فصار المثبوت في الجدول كذا وكذا سنة قال المعترض مع انه (يعني أبا الفداء) يقول في السطر الذي قبله وهو الذي اخترناه واثبتناه في جدولنا هذا وأخذ عليه ايضاً في قوله في هذه المقدمة واما التوراة العبرانية فهي ايضاً مفسودة

(قلت) من أين لهذا المعترض أن يأخذ على ابي الفداء في مثل ذلك فانه لا يسلّم عاقل ان أبا الفداء يقول اثبتناه ثم يقول المثبوت قبل أن يجفّ قلمه او يمسكه عن تحرير عبارة تقارب فيها اللفظان دون ان يتحوّل فكره عن الصدد الذي سيقت فيه العبارة فكان الاجدر بالمعترض ان يحمل ذلك على التغيير في النسخ فان التحريف متحقق في كثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة

فلا يسوغ عقلاً نسبة ذلك الى المؤلفين يقيناً خصوصاً اذا كانوا من مشاهير الكتّاب كابي الفداء فلو فرضنا ان احداً جاء الي المعترض بهذه العبارة نفسها وهي بخط المؤلف مثلاً فرآها رأي العين لما اعتقد أن أبا الفداء ممن يستعمل المثبوت مكان المثبت ولا المفسودة مكان الفاسدة بل كانت تضطرُّه حرفة الأدب وسلامة الذوق الى ان يلتمس له كلَّ عذر يمكن التماسه كأن يقول هذا سهواً أو سبق قلم او ما اشبه ذلك مما يمكن صدوره عن غير تعمد فما بالك فيما لو كانت العبارة مطبوعة عن نسخة مطبوعة او مخطوطة بخط غير المؤلِّف أيجوز والحالةُ هذه نسبة ما في ذلك من التغيير والتبديل لنفس المؤلف ام يجب ان ينسب ذلك الى النُّسَّاخ وارباب المطابع

﴿ ١٩ ﴾ واخذ على ما رواه صاحب خزانة الادب لابي عبدالله ابن الحجاج وهو قوله

خرقت صفوفهم باقب نهد * مراح الصوت متعوب العنان

قال والصواب متعب

(قلت) الاصل في هذا الاعتراض قول صاحب القاموس وهو تعب ومتعب لا متعوب . وذلك كما قال الشارح لمخالفة السماع والقياس وقيل بل هو لحن لان الثلاثي لازم واللازم لا يبنى منه المفعول كذا قاله شيخنا اه كذا في التاج فالذي يُفهم من ذلك أنه لا يقال متعوب في النثر مطلقاً ولا في الشعر حالة الاختيار وعليه فالضرورة هي التي سهّلت للشاعر هذا الاستعمال

﴿ ٣٠ ﴾ وأخذ على عديّ بن زيد العبادي من أهل الجاهلية في قوله

ويلومون فيك يا ابنة عبد الـ * ـلّه والقلب عندكم موثوق

قال يريد موثق وانما وقع له ذلك لانه كان قروياً كما ذكر الاصفهاني في ترجمته قال (يعني الاصفهاني) وقد اخذوا عليه في اشياء عيب فيها

(قلت) لا مانع من قياس ذلك على قولهم رجل

مبغوض فان مبغوضاً لم يُسمع ولو سُمِعَ لكان على الحذف والايصال كمشترك كل ذلك فضلاً عن كون اللفظ المذكور وارداً في شعر من يستشهد بشعره هذا اذا صحت رواية البيت هكذا وما أحسبها صحيحة لأني وجدت هذا البيت مذكوراً في كثير من الكتب المصحّحة هكذا

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق

فتأمل من المعترض ان يبين لنا اسم الكتاب الذي نقل عنه هذا البيت والقافية فيه موثوق لا موهوق وان كان راوياً له فلينبئنا عن مَن روى فحينئذٍ تظهر الحقيقة ويزول الريب

﴿ ٢١ ﴾ وعاب قول الشاعر

خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري

وفرت برمح القد درع تصبري

قال بعد ان نسب هذا البيت لابن هاني وانما يقال

اخفر ذمته او خفر بها ولا يقال خفرها

(قلت) ليس البيت لابن هاني وانما هو لابن معتوق على ما هو المشهور والمطبوع في ديوانه وقوله لا يقال خفرها (يعني الذمة) غير مسلّم فقد قال الشاعر

فواعدني وأخلف ثم ظني * وبئس خليفة المرء الخُفور

قال في اللسان وهذا من خفر ذمته خفوراً . وهو نصٌّ صريح بانه يقال خفر ذمته فسقط الاعتراض

﴿٢٣﴾ قال ويقولون تعرّف على فلان إذا احدث به معرفة وهو من التعبير العامي ومن الغريب انّ اصحاب اللغة لا يذكرون ما يعبر به عن هذا المعنى لكن جاء في كتب المولدين تعرّف به معدًّى بالباء وهو مبني على قولك عرفته به اذا جعلته يعرفه على ما يؤخذ من عبارة المصباح وقد ورد مثل هذا في الاغاني في اخبار عبادل ونسبه وهو قوله فحركت ركابي لا تعرف بهنّ وانشدهنّ الى آخر ما قال مما يشبه هذا المثال

(قلت) من الغريب ان المعترض لم يطلع على ما يعبَّر به عن هذا المعنى في كتب اللغة على انه جاء في مستدرك التاج وتعرف اليه جعله يعرفه اه وفي التاج ايضاً (و) اعترف (اليّ اخبرني باسمه وشأنه) كأنه اعلمه به اه هكذا ممزوجاً بالاصل وفي اللسان اتيت متنكراً ثم استعرفت اي عرّفته من انا اه فقوله ان اصحاب اللغة لا يذكرون (يعني لم يذكروا) ... ما يعبّر به عن هذا المعنى غير صحيح

﴿ ٢٣ ﴾ واخذ على ابن نباتة في تأنيثه الحشا حيث يقول

وسلبت لبي والحشا وجبت * فعييت بالايجاب والسلب

وعلى ابن الفارض كذلك في قوله

وما كنت ادري ما اجنّ وما الذي * حشاي من السر المصون اكنّت

(قلت) لا يخفى ان الحشا في اللغة هو ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وغير

ذلك فهو باعتبار كونه عبارة عن شيء دون الحجاب مذكر وباعتبار أن ذلك الشيء عبارة عن اقسامه المذكورة مؤنث وعليه فلا مانع من تأنيث الحشا في قول كل من ابن نباتة وابن الفارض . ثم لو كان ابن الفارض ممن فاته ان الحشا مذكر في الاصل لما ذكره في قوله

زدني بفرط الحب فيك تحيرا * وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

فقد أعاد الضمير عليه مذكرا وجمع بين الامرين في قوله

وحشا سالٍ ولا اختارها * ان تروا ذاك بها منا علي

فوصف الحشا بقوله سال على صيغة التذكير وارجع الضمير اليه مؤنثا في قوله ولا اختارها فافهم

﴿ ٢٦ ﴾ واخذ على البديع الهمذاني في قوله

ولي جسد كواحدة المثاني * ولي كبد كثالثة الاثافي

قال وانما المثاني جمع مثنى وهو الوتر الثاني من اوتار العود فصوابه كواحد المثاني

(قلت) تحمل واحدة المثاني في هذا البيت

على القطعة الواحدة من المثاني وحينئذٍ فالتعبير فصيح والمعنى صحيح

﴿ ٣٥ ﴾ واخذ على ابي تمام الطائي في قوله

لعذلته في دمنتين تقادما * ممحوّتين لزينب وسعاد

قال يريد تقادمتا وهو من الضرورات التي لا تباح للشاعر

(قلت) لا مانع من حمل الدمنتين في البيت على معناهما اي لعذلته في اثرين تقادما ثم يراعى اللفظ في قوله ممحوّتين

﴿ ٣٦ ﴾ وعاب المأموني من شعراء اليتيمة في قوله

من تحته عينان منذ انفتحا ما انطبقا

اي انفتحتا وانطبقتا

(قلت) يراد بالعينين في قول المأموني الطرْفان قال صاحب المصباح في الكلام على قول الشاعر

والعين بالاثمد الخازي مكحول . انما ذكر مكحولاً لانه بمعنى كحيل وكحيل فعيل وهي اذا كانت تابعة للموصوف لا يلحقها علامة التأنيث فكذلك ما هو بمعناها وقيل لان العين لا علامة للتأنيث فيها فحملها على معنى الطرف والعرب تجترئ على تذكير المؤنث اذا لم يكن فيه علامة تأنيث وقام مقامه لفظ مذكر حكاه ابن السكيت وابن الانباري وحكى الازهري قريباً من ذلك

﴿ ٣٧ ﴾ واعترض على البستي في قوله

الى حتفي مشى قدمي * ارى قدمي اراق دمي

بتذكير الضمير العائد على القدم في قوله أراق قال المعترض وانما اوقعه في هذا طلب التجنيس بين ارى قدمي واراق دمي وقد تبعه في هذا ابن حجة الحموي حيث يقول من بديعيته

ورمت تلفيق صبري كي ارى قدمي * يسعى معي فسعى لكن اراق دمي

(قلت) لا بأس بحمل القدم في قول كل من البستي

والحمويّ على الاخمص كما حُمِل الاخمص على انقدم في كثير من المواضع

﴿ ٣٨ ﴾ وعاب صفي الدين الحلّي بقوله

فقلبي باحسانكم فارغ * وكفي بانعامكم ممتلي

قال فذكر الكف ولم تسمع كذلك الا في بيت تأوّلوه ومثله قول ابن نباتة في المناظرة بين السيف والقلم

اين انت من حظيّ الاسنى وكفي الاغنى

(قلت) يراد بالكف في قول كل من الحلي وابن نباتة الساعد او العضو قال في المصباح وقولهم كف مخضب على معنى ساعد مخضب لكن قال ابن الانباري باب ذلك الشعر. وحمله الثعالبي في قول الشاعر

ارى رجلاً منهم اسيفاً كانما * يضم الى كشحيه كفاً مخضبا

على العضو وهو مذكر

﴿ ٣٩ ﴾ واخذ على لسان الدين بن الخطيب في قوله في اشهر عشرة طحنتهم * فيارحى الشؤم والبواردِ

قال وفيه إما تذكير الرحى وهي مؤنثة او حذف الواو من قوله در لان عين الاجوف لا تحذف من امر الانثى

(قلت) هذا الاعتراض ليس من الصواب في شيء فلا تذكير فيه للرحى كما توهّم ولا حذف للواو ايضاً والبرهان على ذلك ان لسان الدين اراد بقوله در الرجل المخاطب المشبّه برحى الشؤم والبوار تشبيهاً بليغاً ولم يُرِدِ الرحى نفسها والذي يشهد بصحة ذلك قوله قبل هذا البيت من قصيدة طويلة تضمنت هجاء المخاطب وهو

يابغل طـاحونة يدور بها * مجتهد السعي مغمض البصر
في اشهر عشرة طحنتهم * فيارحى الشؤم والبوار دُرِ

ثم قال بعد ذلك

والله ما كنت يامشوم ولا * أنت سوى عرة من العرر

وحيث امتنع ان يكون الخطاب للرحى امتنع ان يكون قوله درِ امراً للانثى على انه لو كان امراً للانثى للزم ان

يكون فيه حذف الواو التي هي عين الفعل والياء التي هي للمؤنثة المخاطبة ايضاً ولا ياء في الاصل فتعين ان يكون درامراً للمخاطب المذكر ليس الاَّ فقول المعترض وفيه اما تذكير الرحى وهي مؤنثة او حذف الواو من درو همٌ صريح

﴿ ٣٠ ﴾ وعاب قول ابن هاني الاندلسي يصف خيلاً

محجّلةً غرا وزهراً نواصعاً * كان قباطيّاً عليهـا منشّرا

بالتذكير في وصف القباطي قال وهي جمع قبطية بكسر القاف وضمها لثياب بيض رقاق من الكتان كانت تنسج بمصر وهي منسوبة الى القبط

(قلت) تحمل القباطي على الساتر او ما في معناه مما هو مذكّر ويراد بذلك الجنس وهو عام يراد به الخاص وانما اردنا بالساتر الجنس ليقوم مقام الجمع فان القباطي جمع ومن المقرر ان أل الجنسية تكسب مدخولها المفرد العموم

المصحح لتأوله بالجمع ويدل على ذلك قول العرب فيما حكاه الاخفش اهلك الناسَ الدرهمُ البيض والدينار الحمرُ

﴿٣١﴾ وخطّأ ابن المفضل البغدادي بقوله

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان

قال وانما الورق جمع ورقاء وهي الحمامة لونها لون الرماد

(قلت) يراد بالورق في هذا البيت الحمام وهو يقع على الذكر والانثى وانما دخلته الهاء على انه واحد من جنس لا للتأنيث كما صرحوا بذلك في كتب اللغة

﴿٣٢﴾ واخذ على عبد الصمد الصفار في قوله

وشقائق شق القلوب كانه * خدمليح ضم صدغا اسودا

قال فذكّر الشقائق وهي جمع شقيقة لواحدة الشقيق وهو النَّوْر المعروف

(قلت) قول عبد الصمد هو الصحيح وما ذهب اليه المعترض فعلى قول ضعيف فاي ضرورة تحوجنا الى العمل بالقول الضعيف واتباعه مع وجود ما هو الصحيح

الاصح فان الشقائق هو النور المعروف بشقائق النعمان وهو الشقر قال في المصباح ولا واحد له من لفظه وقيل واحدته شقيقة وهو الذي اعتمد عليه المعترض ولا يخفى أنّ قيل في مثل ذلك تدل على ضعف مدخولها وفي مختار الصحاح وشقائق النعمان معروف واحده وجمعه سواء اه بتذكير قوله معروف وقوله واحده وفي القاموس وشقائق النعمان معروف للواحد والجمع فراجعه

﴿٣٣﴾ وعاب قول ابن حجة الحموي

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير في التلحين

يريد المعترض ان لما مخصوصة بالماضي

(قلت) هذه ضرورة شعرية تستلزم حمل لمّا على معناها الذي يصلح دخوله على المضارع ٠او تأويل المضارعين بماضيين ٠او المضارع الذي يليها فقط ٠فهذه اوجه ثلاثه فالمعنى على الوجه الاول والطير يضبطها بشكل معرب حين او إذ يزيد الطير في التلحين وعلى

الثاني ضبطها لما زاد هذا اذا كان ما قبل البيت يساعد على صحة ذلك من حيث المعنى والا فلا نقول به وعلى الثالث والطير يضبطها بشكل معرب لما زاد الطير في التلحين ضبطها بشكل معرب والقول بالوجه الثالث يشهد بصحته قول الشاعر

اني لارجو محرزا أن ينفعا * إياي لما صرت شيخا أقلعا

قال الدماميني في الكلام على هذا البيت ويمكن ان يقال هو من قبيل ما حذف فيه الجواب اي لما صرت رجوت ذلك انتهى كذا في شرح الكفاية للبيتوشي واظن ان المعترض لاينكر تأويل المضارع بالماضي في الشعر مراعاة لحكم الضرورة او مراعاة لقول ابيه

ويجعلون اثنين واثنتين * في حكم ماثني ملحقين

مع كون ابيه من المتاخرين والمتاخر على رأي ابنه لاتعذره ضرورة مطلقا فاما ان يرجع المعترض عن هذا الرأي واما ان يقول بفساد بيت ابيه معنًى بل بفساد كل بيت

له فيه اقل ضرورة وقد احصينا له من ذلك ابياتاً كثيرة فلو اردنا مجاراة هذا المعترض فيما جاء به من الاعتراض لاتينا بما لا يسره ولكن اعرضنا عن ذلك كل الاعراض ولكل وجهة

﴿٣٦﴾ وأنكر قول النواجي

مصر قالت دمشق لا * تفتخر قط باسمها

وقول الخوارزمي

ويا من لست ارضى قطُّ بالبحر له قطره

يريد ان قط انما تستعمل للزمان الماضي فقط

(قلت) في الكليات كنت أراه قط اي دائماً وفي سنن ابي داود توضأ ثلاثا قط . وهذا الاعتراض ليس من عند هذا المعترض وانما سبقه اليه الحريري في درة الغواص قال الحريري ومن اوهامهم في هذا قولهم لا اكلمه قط وهو من الخطأ لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما

تستعمل لفظة ابدًا فيما يستقبل · واليك ما قاله العالم
الكبير احمد شهاب الدين الخفاجي شارح درة الغواص
قط كما عليه عامة النحاة ظرف زمان لما مضى مأخوذة
من القط وهو القطع فمعنى ما رايته قط ما رايته فيما انقطع
من عمري قالوا ولا يعمل فيه الا الماضي وقد ورد
ما يخالفه في كلام الناس وفي كلام الزمخشري في قوله تعالى
فمنهم مقتصد ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف
لا يبقى لاحد قط فاعمل فيه لا يبقى وهو مضارع وقال
ابو حيان في البحر بعد نقله كثرة استعمال الزمخشري قط
ظرفا والعامل فيه غير ماض وهو مخالف لكلام العرب
وهي مبنية على الضم تشبيهًا لها بقبل وذهب الكسائي
الى ان اصلها قطط فجعلت حركة الاولى على الثانية ولا
تستعمل الا بعد النفي سواء كان ملفوظًا او مقدرًا وقد
ترد في الاثبات كما قاله ابن مالك واستشهد له بما وقع
في الحديث كما في البخاري في قوله قصرنا الصلاة في

السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما كنا قط واما
قوله (جاءنا بمذق هل رأيت الذئب قط) فلا شاهد فيه
لان الاستفهام اخو النفي قال ابن مالك وهذا مما خفي
على كثير من النحاة وفي شرح البخاري للكرماني فان قلت
شرط قط ان تستعمل بعد النفي قلت اولاً لانسلم ذلك
فقد قال المالكي استعمال قط غير مسبوقة بالنفي مما خفي
على النحاة وقد جاء في الحديث بدونه وله نظائر وثانياً
انها بمعنى ابدا على سبيل المجاز وثالثا يقال انه متعلق
بمحذوف منفي اي وما كنا اكثر من ذلك قط ويجوز
ان تكون ما نافية والجملة خبر المبتدا واكثر منصوب
على انه خبر كان والتقدير ونحن ما كنا قط اكثر منافي
ذلك الوقت وجاز اعمال ما فيما قبلها اذا كانت بمعنى ليس
اه وقال الغرناطي الذي جوزه مراعاة لفظة ما كنا قط
وان كانت غير نافية وقد تراعى الالفاظ دون المعاني اه
وهو كلام حسن وقال ابن هشام في القواعد ما أفعله

قط لحن لاستعماله في غير موضعه واعترض عليه ابن جماعة في شرحه بانه غير صحيح وقصاراه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فيكون مجازا لا لحنا وجعله من اللحن عجيب اذ لا خلل في اعرابه اه وليس بشيء لان اللحن بمعنى مطلق الخطأ وهم كثيرًا ما يستعملونه بهذا المعنى فان قلت اذا استعمل العرب لفظًا في محل مخصوص كقط بعد نفي الماضي وكافة حالا منكرة او في معنى مخصوص كالغزالة للشمس في اول النهار فهل مخالفتهم في ذلك جائزة أم لا وعلى تقدير الجواز فهل يكون حقيقة او مجازا وعلى الثاني ما وجهه قلت الذي يظهر من كلامهم وتخطئة من خالفهم انه غير جائز فان قيل بجوازه فالظاهر انه مجاز مرسل من استعمال المقيد في المطلق الا انه لا يظهر في كافة ونحوها كالظروف التي لا تتصرف فان معناها لا يتغير وانما يتغير اعرابها وان وقع مثله في مكان التقصير

﴿٣٥﴾ وانكر قول عبيدالله الميكالي

لك في المحاسن معجزات جمة * أبدًا لغيرك في الورى لم تجمع

يريد ان ابدًا لا تستعمل الا في المستقبل

(قلت) ابدا هنا بمعنى دائمًا ففي كتب اللغة الأبد الدهر والأبد ايضًا الدائم وقد جعله السيرافي ظرفًا مطلقًا فقد قال ابدًا ظرف زمانٍ يقع للقليل والكثير ماضيًا كان او مستقبلاً تقول ما فعلته ابدًا اه ونحنا ان نقول ان ابدا في البيت ليس ظرفا لقوله لم تجمع كما توهمه المعترض وانما هو ظرف لجمة بمعنى كثيرة فكان الشاعر يقول لك في المحاسن معجزات جمة أبدا يعني كثيرة على الدوام ثم قال لغيرك في الورى لم تجمع وانما يُتوهم ان ابدا ظرف لقوله لم تجمع لتمام الفائدة في صدر البيت فلو ضممت ابدا إلى الصدر لما تُوُهِّمَ ذلك

﴿٣٦﴾ وأخذ على عبد المحسن الصوري من شعراء اليتيمة في قوله

أما انصلحت لمال منك طوية * فتصلحه حتى متى انت حاقد

قال ومثله قول عبد الوهاب بن جعفر الحاجب من شعراء اليتيمة ايضاً

أصلح فساد العيش مجتهدا * ففساد عمرك غير منصلح

(قلت) لا مانع من طروء التحريف على قوله انصلحت في البيت الاول لاستقامة الوزن والمعنى فيمالو قلنا ان اصله اما صلحت لمال الخ ومع ذلك فيمكن ان يقال ان انصلح مطاوع اصلح الرباعي فقد عد بعضهم ما هو من هذا القبيل مقيسا كما يفهم من كلام الخفاجي على قول الحريري في درة الغواص ويقولون انضاف اليه وانفسد الامر عليه فراجعه

﴿٣٧﴾ وانكر على نزهون الغرناطية الشاعرة في قولها

البدر يطلع من ازرّته * والغصن يمرح في غلائله

يريد ان الزر انما يجمع على ازرار

(قلت) عجيب من هذا المعترض ان يأخذ على نزهون

هذه بجمعها الزر على ازرة وهي في ذلك مضطرة وانما يعلم وجه اضطرارها من عرف السبب في انشادها هذا البيت وذلك انها كانت تقراء على ابي بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما ابو بكر الكندي فقال يخاطب المخزومي . لو كنت تبصر من تجالسه . فافحم واطال فما وجد شيئاً فقالت نزهون . لغدوت أخرس من خلاخله .

البدر يطلع من ازرته * والغصن يمرح في غلائله

على ان الارتجال قد اضطر كثيراً من رجال الشعراء وشعراء الرجال افلا تعذر نزهون هذه في ذلك وهي من نوع النساء فكان الأليق بصاحب الاعتراض الاعراض عن مثل ذلك وإن كان ولا بد له من الاعتراض على النساء فقد طبع ديوان الخنساء فلينظر فيه وليقل ما شاء

﴿٣٨﴾ وأخذ على مجير الدين بن تميم في قوله

حبيبي وعدت الكأس منك بقبلة
وأعقب ذاك الوعد منك نفار

وما كان هذا لونها غير أنها

علاها لطول الانتظار صفار

وعدّ ذلك غريباً من مثله لان مقتضاه ان يقول صفرة وان الصفار لغة عامية لان العامة هي التي تقول الصفار والخضار وغير ذلك قياسا على السواد والبياض

(قلت) من اين تحقق هذا المعترض ان الصفار في قول الشاعر بفتح الصاد والظاهر ان ذلك منه امر ظني والاصل في اعتقاده عدم التأمل وقلة التروي الناشئ كل منهما عن غلبة ظنه نظراً لامتلاء سمعه من نطق العامة بهذه اللفظة مفتوحة الصاد ليس إلاّ . فاللفظة انما هي بضم الصاد لا بفتحها فلو قدح المعترض زناد الفهم لما وقع في مثل هذا الوهم . قال في اللسان والصفار صفرة تعلو اللون والبشرة اه وقد استعمل هذه الكلمة غير واحد من الشعراء قال الارجاني

وما كان لون التبر ذاك وانما

علاه لخوف الجود منك صُفار

الا ان يثبت لنا المعترض ان هذين الشاعرين ارادا الصفار بفتح الصاد لا بضمها ولا اظن ذلك مما يمكن

﴿ ٣٩ ﴾ وأَخذ على ابن العطار في قوله

وقل لعليل الطرف عني بانني * صحيح التصابي والفؤاد عليل

يريد ان الباء لا تزاد قبل أَن بعد القول الا اذا كان القول بمعنى الرأْي والمذهب لا على اصل معناه

(قلت) اي مانع يمنعنا من تاويل قل بمعنى أَخبرْ او أَنبئْ فكلاهما يتعدى بالباء وبذلك يكون المعنى صحيحاً

﴿ ٤٠ ﴾ قال وربما زادوا الباء في غير ذلك كقول ابن اسد الفاروقي

وللصبهاء اسماء ولكن * نسيت بان في الاسماء ريقا

ولا وجه لزيادتها لانك تقول نسيت الا ر ولا تقول نسيت به ومثله قول ابن بقي

ودعت من أَهوى وقلت تاسفاً

صعب عليَّ بان أراك مفارقي

قال فزادها على المبتدا

وأخذ ايضاً على عنترة العبسي بقوله في معلقته المشهورة

ولقد خشيت بان اموت ولم تدر

في الحرب دائرة على ابني ضمضم

قال وقول من قال ان الباء تزاد على مفعول خشي ليس بشيء ثم قال وانكر ما جاء من مواضع زيادتها قول ابن حجة الحموي رواه لنفسه في خزانة الادب

منعمة افاءه مهضومة الحشا * تكاد بان تنقد من دقة الخصر

فزادها في خبر كاد الى آخر ما قال مما لا حاجة لنا به

(قلت) كل ذلك من الضرورات الشعرية ولا بأس بزيادة الباء ضرورة قال ابو البقاء في كلياته والضرورة الشعرية هي ما لم يرد الا في الشعر سواء كان للشاعر فيه مندوحة ام لا وهذا ابو المعترض قد زاد الباء في مثل ذلك حيث يقول ١٠ أخذ الطبيب بان يداوي

غيره · وقول المعترض ان قول من قال ان الباء تزاد على مفعول خشي ليس بشيء فهو غير مسموع منه لان كل قول قاله المتقدمون صحيحاً كان او ضعيفا يعمل به عند المتأخرين كما جرت عادة الخلف في اتباع السلف فكأنهُ وان كان متأخراً لا يرضى لنفسه الا التقدم والتفرد بالرأي فرحم الله القائل

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى

وما أظنُّ أن أحداً يأخذ بقول هذا المعترض ويترك قول عنترة العبسي وهو الذي يعتبر حجة على من بعده في كل ما ثبت له على أنه لا مانع من كون الباء بمعنى من فقد سمع ذلك عن العرب · وعدها في شرح الشواهد الكبرى للسببية ورواية البيت هناك

ولقد خشيت بان اموت ولم تكن

للحرب دائرة على ابني ضمضم

قال العيني الباء للسببية والتقدير خشيت بسبب موتي

والحال لم يكن للحرب دائرة اهـ والله سبحانه وتعالى اعلم

وكان تمام ذلك في صبيحة اليوم العاشر من

شهر ربيع الثاني سنة سبع عشرة

وثلاثمائة والف والحمد لله في

البدء والختام

ملحق

(قال المؤلف) قد بقي في ذيل هذا الرد بعد تمام الطبع بعض صفحات لم يكن لها حظ من عبارة ولا نصيب من كلام فاعملت الفكر من اجل ذلك في انتقاء موضوع يناسب المقام لأزين به أوجهها فتعود حالية بعد أن كانت عاطلة خالية فاحترت الى أن اخترت نظم قصيدة أستعمل فيها ما اعترض عليه المعترض من الالفاظ لأفوز بأجر المقتدي بمن سلف وانجو من جرأة المعتدي من الخلف وقد سكبتُ ذلك في قالب الحكمة ليكون أفيدَ للقارئ والسامع وسبكته في سلك النظم فانه أحلى في الذوق وأروق للسامع وتخلصت بمدح متبوعنا الاعظم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان اطال الله لنا عمره وأعزّ نصره آمين (فقلت)

حمدًا لمولىً برأ الخليقه * وأنزل المجاز والحقيقه
ما مرَّ يوم يانع الحديقه * وكان يوما حاميَ الوديقه
ثمَّ الصلاة للنبي الشافع * مَنْ جاءنا بالكلم الجوامع
ما بان ليلاً نور بدر طالع * او زان روضًا زهر غصن يانع
والآل والصحب الألى اضاؤا * بهديهم فهم لنا ضياء
ما أبرقت وارعدت سماء * أو سُمعتْ بين الملا ضوضاء
وبعدُ فاعلم ان هذه حكمْ * بحسب القصد جرى بها القلم
اياك أنْ تذهلها مثلي فكم * أذهاني عن مثلها امرٌ ألم
كان نظام عقدها قد انفرط * فصغتها لكن على أبهى نمط
فان اكنْ اخطأتُ فيها فالغلط * شاني والعصمة لله فقط
عليك يا مغرور بالعلم إذا * أكربك الجهل وكظّك الاذى
فانه كم جاهل قد أنقذا * بالعلم من جهل عليه استحوذا
العلماء السالفون مقتدى * لنا فكن بقولهم مستشهدا
وقل لمن أعدَّ قولهم سدى * ضلالت عن نهج الصواب والهدى
اياك أن يهيجَ علّك الجسيمْ * دعواك فالدعوى هي الحيم الوخيم
فانه قال في كتابه القديم * لنا وفوق كل ذي علمٍ عليمْ
الرجل المهاب من ليس يرى * لنفسه قدرًا على وجه الثرى
فارجع اذا رمت العلى الى ورا * فان تكن شهمًا يقدّمك الورى
كم فاضل بين الانام وقفا * من دون حده فنال الشرفا
إذا حكى اوصافه من وصفا * حاكى بها الدرَّ وأزرى الشنفا

وكم فتى صلفه استأسره * قدم من دعواه ما أخره
فضل كبار العلما أنكره * فقتل الانسان ما أكفره
هذا ولا يخفاك أن المالا * قد ناله بين الملا من نالا
فليك ما تكسبه حلالا * تبلغ به المرام والآمالا
وان تقل عيشي عيش منكدر * من أجله عن الحرام لا أفر
قلت كفى الرزق الكفاف فاصطبر * عليه يغنك الاله المقتدر
ما زاد عنك فهو لليتامى * إن الأبي يأنف الحراما
ومن يرد أن يأكل الطعاما * وفيه سم يشرب الحماما
الله جل شأنه قد حدا * لنا حدودا عدها من عدا
فمن تعاداها فقد تعدى * فليك للحساب مستعدا
ومن عصى اوامر الجبار * خلده بطن الجحيم الباري
وانت أيها المطيع دار * ما لك من زلفى بتلك الدار
سوف ينادي بالثبور والحرب * من عمر الدنيا والاخرى خرب
ففر منه فهو للبار حصب * كما تفر من جذام أو جرب
لا يك موثوقا صديق مالا * خشية أن تطلب منه مالا
انت به تلقح الآمالا * قصد النتاج فيريك مالا
من خفر الذمة فاخفر ذمته * ولا تفرج عنه يوما غمته
وان يعد للود فارع حرمته * وأره انك ترضى خدمته
إلى الاله في الرخا تعرف * يعرفك في الشدة فافعل تعرف
ومنه في الاعلان والسر خفي * فمن يخف مقام ربه كفي

لا تمش في طُرق الهوى فمن مشى * فيها تذب صبابةً منه الحشا
فكم شجٍ أحبَّ صبحاً فوشى * عليه واشٍ فقضى وقت العشا
كم كلف حكى بنا يعاني * جسدُه واحدةَ المثاني
اضناه من محبوبه عينان * بالاثمد الخازيِّ مكحولان
الحبُّ كم في نهجه أرى قدم * مخضبًا دما فكم اراق دم
وكم ثوى حيٌّ بحيِّز العدم * من اجله وكم وكم وكم وكم
كُفَّ عن الدنيا فبئست هذي * فكفُّ بطشها بكلِّ هاذي
نعيمها الآذي يُرى كالملاذي * مع انه في الذوق مثل الآذي
خداعها رحى البوار والردى * يدور بين العالمين ابدا
فيا رحى البوار درّ على عِدا * (سلطاننا عبد الحميد ذي الجدى)
ملك تهاب باسه أُسدُ الشرى * بجلة العدل كسا كل الورى
باجلة حق لنا أن نفخرا * على القباطيِّ بها إن نشّرا
المُلك في ايام هذا الملكِ * باهت به الارض عنان الفلك
والورق غنى ببقاه فُكي * بما دعا ما في السما من ملك
ملكٌ ظباهُ في طلى الاعداء * شقائق الأقدار في السماء
في صفحاتها من الدماء * شقائقٌ يخال كالأصداء
مد على الوجود ظلاً وارفا * من جوده وعمّم المعارفا
الليث في الهيجاء يغدو خائفا * لمّا يرى جنوده الغطارفا
لا تفتخر قطُّ بغير جاه * حضرته العلياء بعد الله
وبعد خير الرُّسل الاوّاه * فجاهه الجاه العظيم الباهي

أمّا أنا فلستُ أرضى أحدا * قطُّ سواه موئلا ومقتدى
معروفه المعروفُ جمٌّ ابدا * من غيره بين الملوك مابدا
قد غمر الناسَ بانواع المِنَح * وعمر الكون برأي قد رجح
اصلح شأن كل حال فانصلح * ففاه فيه الشعراء بالمِدَح
آزر دين الله كالأزرّه * بها العرى تُشدُّ مستمره
هيهات أن تُلفي قدر ذره * في حكمه المحكَم من مضره
كم هاج هيجاء فشبّت نارُ * يُسمَع من زفيرها إعصار
ان لاح من شرارها احمرار * لاح باوجه العدا صفار
فقل لمن يجهله بانّهُ * ملكٌ سما من العلاء قُنّهْ
بل ملكٌ من السما لكنّهْ * رعى الوجود انسه وجنّهْ
صعبٌ بان احيط في كلامي * بوصف قدره السنيّ السامي
لازال منصورًا على الدوام * ما فاح مسك البدء والختام

* تنبيه * انما استعملت في منظومتي هذه الالفاظ التي اعترض عليها المعترض ليكون العوامُّ ومن هو في درجتهم على يقين من أنّ كل ما تكلموا به صحيح والاّ فالخواصُّ على اختلاف طبقاتهم لا يداخلهم شك ولا يتخلل عقائدهم ريب في صحة ما سلف من متقدّم ومتأخر والعصمة لله وحده ولانبيائه

لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين
وآله وصحبه اجمعين